

فشل الرهان على مؤتمر دولي للسلام

محمد أبو الفضل
كاتب مصري



تقلل من فرص الانخراط في مؤتمر خاص بحل الإشكاليات المترامية بين الفلسطينيين والإسرائيليين، والتي أصبحت هامشية، مقارنة بما يجري من صراعات محتدمة في فضاءات مجاورة.

أجهزت التوترات الكثيفة فكرة أن حل القضية الفلسطينية يقود إلى حل قضايا أخرى مستعصية، وأنهت الربط المستمر بين الجانبين، ما يؤثر على حظوظ المؤتمر الدولي كمدخل للتسوية، ويقلل من الدفاع عن الفكرة وبريقها المعتاد.

وأدت الصراعات التي تفجرت في أكثر من دولة إلى إيجاد بيئة خصبة للتدخلات الخارجية بأشكال والوان متعددة، ونشوب خلافات حول النفوذ، وهو ما قاد إلى تصاعد حدة المناورات، وفشل المحاولات التي ذهبت إلى تبني تسويات للنزاعات.

إذا كانت التوترات الحديثة لم تستطع قوى كبرى وصغرى التفاهم حول آليات تسويتها، فما بالنا بالقضية الفلسطينية المزمعة، الأمر الذي أتاح إلغاء المؤتمر الجامع بشأنها، أو إزاحته من أجندة بعض الدول، وتقطيع أوصال التسوية.

من الصعوبة القبول بمؤتمر خاص بالقضية الفلسطينية والأجندة الدولية غائمة، ولم تعد الولايات المتحدة بمفردها صاحبة الأمر والنهي، فلدى كل من روسيا والصين تطلمات للمشاركة في هذا النوع من المؤتمرات، بعد أن تمكنتا من صياغة مجموعة من التصورات تتعلق بأدوارهما في منطقة الشرق الأوسط مستقبلا، بمعنى لم تعد القضية الفلسطينية في القلب منه، ولم تعد واشنطن وحدها صاحبة قرار.

وعلاوة على تصد الأزمات مع إيران جدول أعمال الكثير من القوى الفاعلة في المنطقة، انتظارا لما سيقوم به ترامب من شدد خشن ضدها في أواخر إقامته، أو انتظارا لمعرفة الطريق الذي سيسلكه بايدن معها، وفي الحالتين أصبحت ذات أولوية قصوى، تفرص الأوضاع الراهنة في المنطقة، تعديل زاوية الرؤية للقضية الفلسطينية، ففقد مؤتمر دولي لن يكون نهاية المطاف، وليس من المنطقي أن يصبح هدفا في حد ذاته، أو سعيا وراء فرملة توجهات بعض الدول العربية نحو التطبيع مع إسرائيل.

وهما تراجع دور واشنطن في المنطقة سوف يبقى اهتمامها منصبا على إسرائيل، ولن يعقد مؤتمر بدون الحصول على موافقة الإدارة الأميركية، أيا كان ساكن البيت الأبيض، جهوريا أم ديمقراطيا، فهي الراعي الأول للتطبيع مع إسرائيل، التي تمثل الطرف الآخر في المعادلة، حيث تحتل الأرض الفلسطينية المطلوب للتفاوض عليها.

يدفع الرئيس الفلسطيني محمود عباس نحو المؤتمر كمنقذ، وقد يجري جولات الفترة المقبلة لتهيئة المجال أمامه، بعيدا عما يجنيه منه بصورة عملية، لأنه يرى فيه سبيلا للتخلص من ورطة صفقة القرن، وعدم زيادة حمى التطبيع ووقف ما يترتب عنها من تصرفات، ويمنحه مساحة للتواصل من التزاماته بشأن إجراء انتخابات عامة قريبا.

وتجد فيه مصر والأردن أداة للعودة إلى الصيغة النمطية لخطاب التسوية السياسية المعروف، خوفا على مكانتهما التاريخية وأهمية القضية الفلسطينية لأمنهما القومي، والذي يمكن أن يهتز مع التطورات المتسارعة في ملف التطبيع، ويعزز التلويح بالمؤتمر أنهما يمكن بعض الأوراق التي تقلل من فرص تقويض دورهما.

يوحي طرح عقد مؤتمر دولي في أجواء لا تزال تخيم عليها ملامبات كورونا، بان أصحابه يريدون تحريك المياه الراكة أكثر من التناغم فعليا، فالقوى المهمة به أو يمكن أن تهتم به أولويتها محصورة في التعافي ومبارحة خندق كورونا في أقرب وقت ممكن، ولذلك فالغزى وراء التفكير في المؤتمر أن الجهات التي تريد انعقاده تعلن رفضها لما يدور من ترتيبات في المنطقة على إثر التطبيع، وإذا وجدت وسيلة أخرى لن تتردد في تبنيها، وهو ما يجعل الرهان على مؤتمر حقيقي للسلام فاشلا.

ربما يكون الرهان منطقيًا على إدارة بايدن بحكم ميله نحو العمل بطريقة تقليدية، لكن الرجل سوف يدخل البيت الأبيض في العشرين من يناير المقبل وهو محمل بمهموم داخلية انخرقت عن مساراتها، ورغبة في ترميم ما أفسده الرئيس ترامب في جسم السياسة الخارجية، وقد تكون القضية الفلسطينية جزءا يسيرا منها.

توجد أزمات حادة بجوار هذه القضية، في سوريا ولبنان والعراق واليمن وليبيا، وكلها بحاجة إلى مبادرات أميركية واضحة وسريعة،

ربما يكون الرهان منطقيًا على إدارة بايدن بحكم ميله نحو العمل بطريقة تقليدية، لكن الرجل سوف يدخل البيت الأبيض في العشرين من يناير المقبل وهو محمل بمهموم داخلية انخرقت عن مساراتها، ورغبة في ترميم ما أفسده الرئيس ترامب في جسم السياسة الخارجية، وقد تكون القضية الفلسطينية جزءا يسيرا منها.

توجد أزمات حادة بجوار هذه القضية، في سوريا ولبنان والعراق واليمن وليبيا، وكلها بحاجة إلى مبادرات أميركية واضحة وسريعة،

ربما يكون الرهان منطقيًا على إدارة بايدن بحكم ميله نحو العمل بطريقة تقليدية، لكن الرجل سوف يدخل البيت الأبيض في العشرين من يناير المقبل وهو محمل بمهموم داخلية انخرقت عن مساراتها، ورغبة في ترميم ما أفسده الرئيس ترامب في جسم السياسة الخارجية، وقد تكون القضية الفلسطينية جزءا يسيرا منها.

توجد أزمات حادة بجوار هذه القضية، في سوريا ولبنان والعراق واليمن وليبيا، وكلها بحاجة إلى مبادرات أميركية واضحة وسريعة،

ربما يكون الرهان منطقيًا على إدارة بايدن بحكم ميله نحو العمل بطريقة تقليدية، لكن الرجل سوف يدخل البيت الأبيض في العشرين من يناير المقبل وهو محمل بمهموم داخلية انخرقت عن مساراتها، ورغبة في ترميم ما أفسده الرئيس ترامب في جسم السياسة الخارجية، وقد تكون القضية الفلسطينية جزءا يسيرا منها.

متساقطوا الربيع العربي ..



الربيع العربي في امتحان الواقع

أسامة رمضاني
رئيس تحرير العرب ويكلي



من الآن وحتى النصف الأول من العام المقبل، ستضاعف الإشارة إلى "الربيع العربي" في المناقشات السياسية حول المنطقة، سواء في وسائل الإعلام أو في أي مكان آخر، وذلك تزامنا مع الذكرى العاشرة لاندلاع الانتفاضات الشعبية التي هزت العالم العربي.

لا يوجد شيء جديد في استخدام مثل هذه العبارات الشاعرية للإشارة إلى التطورات الكبرى في العالم، وخاصة الانتفاضات والثورات.

وكان لتشيكوسلوفاكيا نصيبها من التغييرات المنقمة، سواء مع استعمالات "ربيع براغ" في 1968 أو "الثورة المخملية" في 1989.. وكانت هناك في وقت لاحق "الثورات الملونة" للاتحاد السوفييتي والبلقان، في أوائل القرن الحادي والعشرين.

تشكل هذه العبارات في كثير من الحالات طرقا مختصرة لفهم الحقائق المعقدة أو ترسيخ الاستنتاجات المأمولة في الأذهان.

لا يهم إن كان واقع هذه الحركات أكثر تعقيدا مما قد توحي به الصفات الرومانسية، ففي أوروبا الشرقية كانت للأحداث خلفية متشابهة العوامل شكلتها عقود من الحرب الباردة والمعارك التي قادتها الولايات المتحدة للإطاحة بـ"إمبراطورية الشر"، فمظما أسمن رونالد ريغن الاتحاد السوفييتي السابق في استعارة من قاموس حرب النجوم.

رُحِب الرأي العام الغربي بشكل كاسح بـ"تحرير" الكتلة الشرقية من نير الهيمنة السوفييتية. وكان من الطبيعي أن تتحول التحولات في أوروبا الشرقية بسرعة إلى سردية بطولية. ولكن الأهم من ذلك أن الغرب لم يسمح أبدا بأن تصبح النهضة الأوروبية تسمية على غير معنى، بالطريقة التي شهدتها الربيع العربي لاحقا.

وقدمت الولايات المتحدة وأوروبا الغربية لبلدان أوروبا الشرقية مساعدات شبيهة بمساعدات مشروع مارشال بعد الحرب العالمية، إضافة إلى مساهمات قدمتها برامج دعم الاستقرار الخاصة بحلف الناتو وسياسات اندماج وتوسيع الاتحاد الأوروبي. وسعى الغرب بإصرار حتى يرافق النمو الاقتصادي الانتقال الديمقراطي.

وفي ديسمبر 2010، ومع انطلاق احتجاجات الشوارع في تونس والعالم العربي، داعبت الرومانسية الثورية خيال الحاملين بالديمقراطية في كل مكان. ومن هذا المنظور كانت الاضطرابات العنيفة التي تلت الهبات الشعبية في أجزاء كثيرة من المنطقة أقل أهمية لهؤلاء من أفاق الخلاص من آفات الفساد والحكم الفردي.

لكن العالم العربي لم يكن شرق أوروبا.

سرعان ما انزلت العديد من الانتفاضات إلى أعمال عنف محلية وإقليمية، وتفاقت الصعوبات تدريجيا أن الإشادة بـ"الربيع" لم تقابلها مساعدة شبيهة بمشروع مارشال. فقد كانت هناك تعهدات من مجموعة السبع لتونس ومصر في أول المشاور. ولكنه ومن باب الإنصاف للغرب، ينبغي الإقرار بأنه كانت هناك مساعدة ملموسة لتونس وإن لم تكن بالحجم الذي كان الرئيس الراحل الباجي قائد السبسي يخيله.

في تونس، التي أصبحت حاملة لواء الربيع العربي في المخيال الدولي، لم يكن للمساعدة الدولية مفعولها المأمول بسبب استمرار الركود الاقتصادي الذي ساهم فيه السياسيون نتيجة اندماج الخبرة وأحيانا قلة الكفاءة. وأدت النفقات الأمنية غير المسبوقة التي فرضتها تصاعد الخطر الإرهابي إلى مزيد من الضغوطات على المؤازرات التي كانت في حد ذاتها غير كافية اعتبارا للمطالبات الاجتماعية التي لا تنتهي.

كان من الممكن أن تكون المساعدة الخارجية أكثر تناسبا مع مدح الغرب لقصة النجاح التونسية. لكن فشل السياسات الاجتماعية والاقتصادية في تونس كان أساسا من فعل السياسيين التونسيين أنفسهم في معظم الحالات. ويدرك المرء حجم مازق البلاد عند مطالعة البيان الأخير للاتحاد العام التونسي للشغل.

وللمرء أن يتساءل عما إذا كان الحوار الوطني الجديد، الذي تدعو إليه النقابات كوسيلة لإنقاذ البلاد من الانهيار، هو الحل. ومن المفترض أن يعيد السياسيون والمجتمع المدني السير على درب الحوارات السابقة، وخاصة الحوار الوطني الذي أنقذ البلاد من حرب أهلية بعد اغتيال اثنين من القادة اليساريين في عام 2013.

ولكن ميل النخبة السياسية في البلاد نحو الخلافات يضعف فرص النجاح. ومع كل الحوارات ومحاولات البحث عن صوغ توفيقية لتجاوز النزاعات منذ 2011، أصبح السياسيون يشبهون الممثلين على المسرح الذين يصرون على مراجعة السيناريو بعد كل مشهد بدلا من لعب أدوارهم. قبل خمس سنوات، أكسبت تجربة الحوار الوطني تونس جائزة نوبل للسلام التي كان من المفترض أن تدفع السياسيين إلى التيقظ والسير نحو

الجائزة الحقيقية المتمثلة في التعافي الاجتماعي والاقتصادي. لكنهم لم يفعلوا. وظلوا مهوسين بتوزيع مقاعد السلطة أكثر من انشغالهم بارتفاع مستويات العجز أو معدلات البطالة.

لكنه رغم ذلك ليس من الحتمي أن يتحقق السيناريو الكارثي في تونس وذلك إذا كان لدى السياسيين الرؤية والشجاعة لإنقاذ أنفسهم وبلادهم بالإمكانات الذاتية المتوفرة.

في بقية المنطقة بعد 2011، كان الوضع مختلفا عما هو في تونس. وكانت السيناريوهات أكثر خطورة ودموية.

كانت الأسباب التي أدت إلى اندلاع انتفاضات 2011 في العالم العربي والعواقب السياسية هيكلية، ولم تكن تتناسب مع توقعات الغرب بانعلاج وشيك لفجر الديمقراطية في المنطقة.

في كثير من الجوانب، كان الوضع الاقتصادي والاجتماعي في تونس مشابها لما هو عليه في بقية البلدان غير المنتجة للنفط في المنطقة العربية؛ لهذا السبب، لم تكن هناك موجة

مد ديمقراطي في أفق العالم العربي. وهذا لا يجعل العرب غير مؤهلين للديمقراطية، فالتوق إلى الحرية والقضاء على الفساد لهما شعبية كبيرة تعيها الانتفاضات المتواصلة في العالم العربي. غير أن التوقعات لا بد أن تكون واقعية ولا تبني على نماذج نظرية مسقطة وإن كان يستسيغها الحلم والخيال.

في تونس، انزعج قائد السبسي نفسه في النهاية من عبارة "الربيع العربي". وكان يقول "ليس هناك ربيع عربي". هذا اختراع أوروبي، وكان يعلق أمه على تحقيق شكل من أشكال "الربيع التونسي" خلال حياته.

ولكن ذلك لم يحدث. وتوفي قائد السبسي منعزلا في قصره ومعتمدا أنه يتعرض للخيانة.

في نهاية التحليل، يمكن القول بان تونس حققت انتقالا ديمقراطيا ناجحا نسبيا. فقارنته بالعديد من الدول العربية التي مرت بموجات احتجاج عارمة في 2011، تمتعت تونس بعشر سنوات من السلم في الداخل.

ولكن، وبعد عقد من الزمن، بددت الطبقة السياسية، بلا مبالاة غربية، ما كان بين يديها من ميزات وأوراق، إن تقلصت الطبقة الوسطى، وأضحى الجيش يسعى إلى حماية منشآت النفط والغاز من المحتجين بقدر ما يستطيع، وما زالت المعارضة السابقة لم تتكيف مع ممارسة السلطة بعد.

بطريقة ما، يذكر تطور الأحداث تونس بان ظروفها الاجتماعية والاقتصادية تشبه إلى حد كبير تلك الموجودة في بقية العالم العربي غير المنتج للنفط. وفي مثل هذه الحالات، لا يمكن أن تعتبر نفسها استثناء في بيئتها. وتعمق مصاعبها الآن الأزمة الصحية الناجمة عن الجائحة.

من الأكد أن تصورات وعبارات "الربيع العربي" و"ثورة الياسمين" وغيرها لن تتلاشى في الأشهر القليلة القادمة. ولكن العبارات الشاعرية تفقد بريقها عادة عندما تلتقي بالواقع الذي لا تحده إلا اعتبارات الشغل والخبز والتغيير الملغوس.

مستويات لا تمثل لها في العالم على صعيد بطالة الخريجين بين الشباب. وأجبال جديدة معلق مصيرها بسبب اقتصادات بلا أفق، وحكام لم يتنبهوا إلى كون الزمن قد تجاوزهم.

لكن تونس كانت مختلفة أيضا عن معظم البلدان العربية الأخرى: كانت تتمتع بأكثر طبقة وسطى في أفريقيا، ومعارضة تبدو جيدة التنظيم، وعلاقات وثيقة مع أوروبا، وجيش لا يحمل طموحات سياسية. وفي 2011، لم تكن هناك دولة عربية أخرى من بلدان "الربيع العربي" تجمع العوامل الثلاثة.

لهذا السبب، لم تكن هناك موجة مد ديمقراطي في أفق العالم العربي. وهذا لا يجعل العرب غير مؤهلين للديمقراطية، فالتوق إلى الحرية والقضاء على الفساد لهما شعبية كبيرة تعيها الانتفاضات المتواصلة في العالم العربي. غير أن التوقعات لا بد أن تكون واقعية ولا تبني على نماذج نظرية مسقطة وإن كان يستسيغها الحلم والخيال.

في تونس، انزعج قائد السبسي نفسه في النهاية من عبارة "الربيع العربي". وكان يقول "ليس هناك ربيع عربي". هذا اختراع أوروبي، وكان يعلق أمه على تحقيق شكل من أشكال "الربيع التونسي" خلال حياته.

ولكن ذلك لم يحدث. وتوفي قائد السبسي منعزلا في قصره ومعتمدا أنه يتعرض للخيانة.

في نهاية التحليل، يمكن القول بان تونس حققت انتقالا ديمقراطيا ناجحا نسبيا. فقارنته بالعديد من الدول العربية التي مرت بموجات احتجاج عارمة في 2011، تمتعت تونس بعشر سنوات من السلم في الداخل.

ولكن، وبعد عقد من الزمن، بددت الطبقة السياسية، بلا مبالاة غربية، ما كان بين يديها من ميزات وأوراق، إن تقلصت الطبقة الوسطى، وأضحى الجيش يسعى إلى حماية منشآت النفط والغاز من المحتجين بقدر ما يستطيع، وما زالت المعارضة السابقة لم تتكيف مع ممارسة السلطة بعد.

بطريقة ما، يذكر تطور الأحداث تونس بان ظروفها الاجتماعية والاقتصادية تشبه إلى حد كبير تلك الموجودة في بقية العالم العربي غير المنتج للنفط. وفي مثل هذه الحالات، لا يمكن أن تعتبر نفسها استثناء في بيئتها. وتعمق مصاعبها الآن الأزمة الصحية الناجمة عن الجائحة.

من الأكد أن تصورات وعبارات "الربيع العربي" و"ثورة الياسمين" وغيرها لن تتلاشى في الأشهر القليلة القادمة. ولكن العبارات الشاعرية تفقد بريقها عادة عندما تلتقي بالواقع الذي لا تحده إلا اعتبارات الشغل والخبز والتغيير الملغوس.

بطريقة ما، يذكر تطور الأحداث تونس بان ظروفها الاجتماعية والاقتصادية تشبه إلى حد كبير تلك الموجودة في بقية العالم العربي غير المنتج للنفط. وفي مثل هذه الحالات، لا يمكن أن تعتبر نفسها استثناء في بيئتها. وتعمق مصاعبها الآن الأزمة الصحية الناجمة عن الجائحة.

من الأكد أن تصورات وعبارات "الربيع العربي" و"ثورة الياسمين" وغيرها لن تتلاشى في الأشهر القليلة القادمة. ولكن العبارات الشاعرية تفقد بريقها عادة عندما تلتقي بالواقع الذي لا تحده إلا اعتبارات الشغل والخبز والتغيير الملغوس.

من الأكد أن تصورات وعبارات "الربيع العربي" و"ثورة الياسمين" وغيرها لن تتلاشى في الأشهر القليلة القادمة. ولكن العبارات الشاعرية تفقد بريقها عادة عندما تلتقي بالواقع الذي لا تحده إلا اعتبارات الشغل والخبز والتغيير الملغوس.

من الأكد أن تصورات وعبارات "الربيع العربي" و"ثورة الياسمين" وغيرها لن تتلاشى في الأشهر القليلة القادمة. ولكن العبارات الشاعرية تفقد بريقها عادة عندما تلتقي بالواقع الذي لا تحده إلا اعتبارات الشغل والخبز والتغيير الملغوس.

من الأكد أن تصورات وعبارات "الربيع العربي" و"ثورة الياسمين" وغيرها لن تتلاشى في الأشهر القليلة القادمة. ولكن العبارات الشاعرية تفقد بريقها عادة عندما تلتقي بالواقع الذي لا تحده إلا اعتبارات الشغل والخبز والتغيير الملغوس.

من الأكد أن تصورات وعبارات "الربيع العربي" و"ثورة الياسمين" وغيرها لن تتلاشى في الأشهر القليلة القادمة. ولكن العبارات الشاعرية تفقد بريقها عادة عندما تلتقي بالواقع الذي لا تحده إلا اعتبارات الشغل والخبز والتغيير الملغوس.